ثغرُ العُلا

ياسين البكالي

وما مايو سوى البُشرى بقلبي
أراها رغم أني لا أراها
هو الذكرى الجميلةُ في فؤادي
وأني قط لم أعشقْ سواها

• • • • •

أتى مايو فحقُّكَ أن تُغنّي
معي يا حرفُ فوقَ رُبى التّمَنّي
وتشدو اليومَ صنعا في ضلوعي
فأُقرِئُها السلامَ عليَّ منّي
على وطنٍ من الأحلامِ أحيا
ولا أدري بماذا قيلَ عني
أنا مايو تدَفّقَتِ التهاني
على شعبي لحتّى خلتُ أني
حقيقةُ كل مجدٍ يا بلادي
وريشةُ كل إبداعٍ وفنّ
كمايو اليومَ تبتسِمُ المعاني
عداه بمن أشّبّه أو أُكنّي
على ثغرِ العُلا أوقدتُ روحي
فأشرقَ وجهُ عقدينٍ لسنّي
وزَغردَ في شمالِ القلبِ وعيي
وأحسنَ في جنوبِ العقلِ ظنّي
تلاقينا هنا أنسٌ بأنسٍ
وخلفَ المُبتغى جنٌّ بجنّ
لقد جئنا ،هنيئاً للمعالي
بنا وبنا هنيئاً للتغنّي
يمانيون جئنا من أقاصي
توحّدِنا فيا غيماتُ شُدّي
صباحاتِ الجمالِ على الروابي
لنزرَعَ حُبّنا فيها ونجني
بلادي هذه روحي وهذا
دمي فيها لقصرِ الزهو يبني
شممتُ عبيرَ ثوراتي ففاحَتْ
على سيئونَ من بعدانِ بُني
ومن عدنٍ هرعتُ الدانُ يدري
بأني جئتُ من أطرافِ دَنّ
يمانيون فوقَ يدِ الثُريا
تدافعْنا فغُضِ الطرفَ أني
أُصلي اليومَ والبلدانُ حولي
تمَنّتْ.آه لو يجدي التَمَني
أمايو حينَ أدنو منكَ تزهو
مواويلي ويُزهرُ فيكَ لحني
تمرُّ بنا كفاتنةٍ تَهادَى
هواها بين قلبٍ مُطمئِنِ
يفيضُ بحُبكَ الشِيعيُ بدءاً
ويختِمُه بمسكِ القولِ سُنّيَ
وما عاداكَ إلا من تلاقى
مع الشيطانِ في شبقِ التَجَنّي
هنا لا وقتَ للإرهابِ كلا
فدعني أنسفُ الماموتَ دعني
مضى العفريتُ وانقَشَعتْ خُطاهُ
فيا إرهابُ لا ترجِعْ لأني
أخُطُّ اليومَ سطراً من صمودي
على عجلٍ وإن ظَهَرَ التأنّي
لقد فاتَ الأوانُ عليكَ إني
سأُعْلِنُها وبعدَ اليومَ إبني
تَشظّى الهولُ والتَأمَتْ جراحي
وصارَ الآنَ أثقلَ منكَ وزني
فمُتْ في غَيظِكَ المدفونِ بائتْ
محاولةُ الجبانِ بكُلِّ غَبْنِ
وقَهْقَرنا الجريمةَ مُنذُ ثُرنا
وأبدلنا تخَوّفَنا بأمنِ
صباحُ الخيرِ من بسَماتِ مايو
تَطلُّ فيا جبالُ بها تَحَنّي
وقولوا ياكرامُ هنا بأنّا
على مايو جميعاً سوفَ نثني
تمرُّ كسوساتِ الفجر مايو
بنا.تدري!لغيرِكَ لمْ نَحِنّ
لأنتَ العيدُ حين نقولُ عيداً
وإن قلنا السعيدَ فأنتَ نعني
سنحيا اليومَ في جنّاتِ مايو
وبعدَ غدٍ لنا جنّاتُ عَدْنِ
أرى مايو غدا أفقي وفيه
كأني طائرٌ يشدو..كأني

في المجموعة القصصية (موعد آخر) لسهير السمان

البدايات المختزلة للمضمون

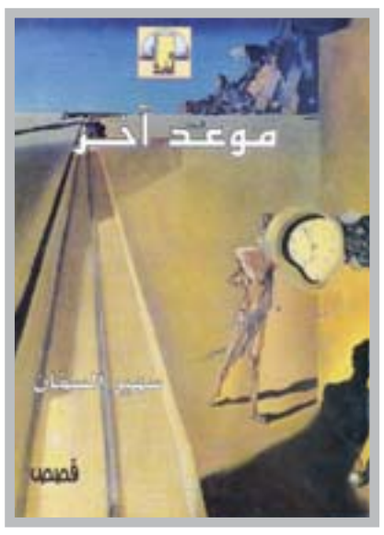

علي أحمد عبده قاسم

شكلت القصة القصيرة اليمنية حضوراً لافتاً ووصل هذا التنوع من الأدب مستوى متقدماً، وحاول أن يلتقط الكثير من الرؤى والمشاكل ويحولها إلى عمل أدبي بديع، سواءً كان في جانب إنتاج القاص أو القاصة، وتعتبر القصة اليمنية عموماً واحدة من الأجناس الرفيعة في المشهد الإبداعي اليمني، باعتبارها امتلكت أدوات السرد الحديث، ولأن القصة النسوية منجز إبداعي له حضوره وسماته وإنه يحتاج من النقاد القراءة والدراسة لكشف الأبعاد الفنية لها، وكنتُ أقرأ في المجموعة القصصية للقاصة سهير السمّان، والتي تحمل عنوان (موعد آخر)، وصدرت عن الهيئة العامة للكتاب ضمن سلسلة إبداع، واحتوت المجموعة على سبع وعشرين أقصوصة في مائة ورقة من القطع الصغير، وتنوعت الرؤية فيها ما بين الاجتماعية ورؤية المرأة للحياة وواقعها وزمنها.

وحاولت في هذه القراءة تناول البدايات في البناء القصصي بوصف ذلك مظهر من مظاهر التمكن القصصي، ففي أقصوصة "إليكِ أعود"، يبدأ النص باللقطة الفلمية المشهدية "لا يدري أين تأخذه قدماه، فأفكاره تبعث به... هل يقبل بها زوجه؟ وقد أسلمته نفسها أكثر من مرة..! لم تكن ممن يعبثون بعواطف أحد، هم من كانوا يعبثون بها، لم يكونوا يرون فيها سوى تلك الأنثى الشهية..! هجمت عليه رغبة جامحة في اقتحامها، لم يجرب معها دور المحب، لأول مرة سيجرب وعند باب العمارة أنتظر خروجها لينصب شرك عينيه الساحرتين"().

مما سبق، يمكن القول: إن بناء بدأ بالحاضر بلقطة مشهدية متكاملة في المكان المدينة من خلال "باب العمارة" ولكن هذه البداية الحبكة أوضحت ما يلي:

• الشرود والحيرة "لا يدري أن تأخذه قدماه"، "هل يقبل بها زوجه، قد أسلمته نفسها أكثر من مرة"، وهذه الحيرة أفضت إلى جذب وشد للانتباه وأفضت إلى الصراع الداخلي النفسي الذي انعكس إلى صراع في القارئ، مما أدى إلى متابعة للقراءة، وأوضح الرؤية السردية والرؤية الاجتماعية والذاتية في القبول والرفض.

• كان السرد بضمير الغائب "هو" باعتبار ذلك يسهل الانتقال ما بين الماضي والحاضر، ويكشف الفكرة والرسالة المتوخاة من الأقصوصة "لا يدري، تأخذه، ويقبل، أسلمته، يعبثون، هجمت.. إلخ"، مما أفضى إلى مقدمة وتمهيد لبقية الأحداث.

• أوضحت اللقطة الحوارية العلاقة المرتبكة والقلقة ما بين الرجل والمرأة، والمرأة والمجتمع، من خلال "لم تكن ممن يعبثون بعواطف أحد، هم من كانوا يعبثون بها، لم يكونوا يرون فيها سوى الأنثى، سمع عنها الكثير"، ولأن تلك العلاقة تفتقر للثقة فإن الرؤية فيها تعكس المحاولة الجادة لتحويلها إلى علاقة متزنة واثقة حتى يتحقق للمرأة الفاعلية والتأثير والاستقرار، ولذلك كانت البداية مختزلة بكثافة لمضمون القصة، من حيث بث الرؤية وتوضيح العلاقة ومحاولة المرأة تغيير الوعي المجتمعي.

وإذا انتقلت القراءة إلى الأقصوصة الثانية "نصف قمر" فإن المتأمل في العنوان، يلحظ الرمزية من خلاله، باعتبار "النصف" شطر الشيء، بما يحيل إلى عدم الاكتمال، ويحيل النصف إلى نصف الإنسان ونصف العمر والزمن والقمر يحيل إلى الجمال والسمو وإلى انتصاف الشهر الذي العمر ويحيل المرأة والرجل بمعنى أن الرجل والمرأة يشكلان لوحة للجمال والاكتمال في حالة الارتباط والزواج، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المؤمن بنصف دينه فإذا تزوج اكتمل النصف الآخر"، ويأتي الحكي في الأقصوصة ليوضح تلك الدلالات "امتدت يداها تحتضن الضوء وترفع الستار عن ذكريات تركتها خارج النافذة في انتظار أمل جديد للرجوع، "كان هذا اليوم أجمل يوم تنتظره بلهفة وشوق، يوم اكتمال القمر ليصبح بدراً يلف الفضاء بضيائه الهادئ الذي يعكس أياماً عاشتها بأجمل معاني الحياة ومرت وكأنها طيف أو ندى أزهار تحولت إلى ترانيم أمل قادم"().

وبذلك تمكنت بداية بناء الأقصوصة من اختزال المضمون الذي يعكس الرؤية الشخصية الفردية، والتي تتحول إلى رؤية اجتماعية عامة من حيث احتراق النص في البحث، الاكتمال والاحتراق فيه ليتحقق الاستقرار بوصف ذلك هو الحياة وأوضح السرد الاحتراق في البحث عن الأمل الكينونة "تحتضن الضوء وترفع الستار عن خارج النافذة"، وكأن الأمل هذا يحيل معاناة نفسية ومكايدة عاطفية ترتد إلى المجتمع والعادات والتقاليد والحتميات الاجتماعية التي تحول الذات المخصبة إلى ذبول وموت، مما يعكس أيضاً قضية المطامح والإخفاقات، فأتى السرد مشفراً للمضمون "أجمل يوم تنتظره بلهفة وشوق"، ليحيل إلى الارتباط والزواج "يوم اكتمال القمر"، إنها الذات المحترقة والذات الغائبة التي مازالت شطراً وحلماً "يوم اكتمال القمر".

إن العلاقة المضطربة والقلقة ما بين الرجل والمرأة والمجتمع مضموناً كثيفاً في القصة القصيرة النسوية عموماً، وفي هذه المجموعة باعتبار أن نهاية هذه الأقصوصة تكشف هذه الدلالة "لم تزل... تنظر إلى نصف قمرها وحيداً ينتظر نصفه الآخر"().

إذا تأمل القارئ الرؤية في البدايات للأقاصيص يلحظ أن ثمة رؤية تعكس الإخفاق والصراع ما بين المطامح والخيبات ورؤية المجتمع المتسلطة والبخيلة والنمطية للمرأة، ففي أقصوصة "عيد ميلاد" ترسم الأقصوصة حالة الصراع ما بين الحلم والتجدد وما بين تبدد العمر وذوبان الكينونة والتأثير "بجنون تتعاقب السنون، يختفي العام، يذوب ويتلاشى كقطعة ثلج في يوم قائض ونبحث في أنفسنا عن مكان آخر لزرع ورود لسنة جديد"().

مما سبق يلحظ المتلقي من خلال العنوان "عيد ميلاد" الإحالة التجدد والفرحة والسرور والتأثير والامتداد مع الزمن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يحيل تلاشي العمر وذهاب شيء من زمانه وحياته ويحيل إلى البحث إلى عيد ميلاد فيه التجدد والتأثير بشكل آخر ينافي الشمعة والحلوى وهو ما يشي به السرد في الأقصوصة "بجنون تتعاقب السنون، يختفي العام، يتلاشى كقطعة ثلج... نبحث في أنفسنا عن مكان آخر لزرع ورود لسنة جديدة"، ليعكس "حالة من الإحباط والعجز والاغتراب وتبدد الآمال"، لتعكس حالة من الرؤية الإنسانية للوضع الاجتماعي للمرأة، باعتبار أن "التعاقب بجنون سريع" يشعر بتقدم العمر"، و"الثلج" معادل رمزي لذوبان العمر ليأتي التلميح "نبحث عن مكان آخر لزرع ورود لسنة جديدة".

إنه غياب وإحباط وتلاشي للخصوبة والاستقرار والاغتراب، فكانت البدايات تختزل المضمون بكثافة دلالية عميقة كي ينتقل القص إلى التوضيح برمزية بتلك الدلالات "إن غداً عيد ميلادي ورياح أيلول بدأت بنزع أوراق الشجر... إنه الخريف الذي يجني رأسه لاستقبال الشتاء"، فكان الخريف معادل رمزي لذهاب العمر والاخضرار والخصوبة بوصف الشتاء يرمز لليأس والإحباط والثبات فإن البدايات تهيئ القارئ لاستقبال أحداث القصة لتعكس تمحور المرأة حول ذاتها وقضاياها إلا إنها ترسل مضموناً إنسانياً اجتماعياً في تبدد العمر ومقدار المعاناة للمرأة لتتحول للتأثير والإنتاج.

وحتى لا تتمحور الأقاصيص حول المرأة وذاتها، فقد حاول النص أن يلتقط بعض السلبيات الوظيفية ويحولها إلى رؤية كالرتابة والروتين ويعكس رؤية المرأة في آمال التمدن والتحضر والتمرد على العادات التي تطبع بها المجتمع كمضغ القات، ففي أقصوصة "رائحة خضراء" تقول الأقصوصة "كان مبنى رائعاً لتلك المؤسسة الحكومية المهمة، دخلتُ في الصباح الباكر لإنجاز معاملتي... الموظفون منهمكون في عملهم... الحركة الدؤوبة تذكرني بخلية النحل، الوجوه تعلوها ابتسامة... رائحة القهوة المتصاعدة منحتني همة عالية لإنجاز معاملتي"().

لعل السرد يعكس تجربة حياتية في الانتقال من حالة الثبات إلى حالة من التأثير والفاعلية والإنتاج، ويتضح ذلك من "دخلت في الصباح الباكر لإنجاز معاملتي... رائحة القهوة منحتني همة عالية"، إنها رؤية للاندماج بالمجتمع بتأثير وفاعلية ورغبة عميقة جامحة من رؤية النص للتمدن والتحضر "كان مبنى رائعاً، الحركة الدؤوبة تذكرني بخلية نحل" إنه إنصاف وتطلع للخير والآمال والجمال، لذلك يتأتى ليوضح التطلع إلى كل ما هو مثال "استقبلني موظف بدلة أنيقة وربطة عنق تعكس شخصية من يرتديها".

وهذه التجربة القصيرة أفضلت إلى رؤية المرأة في مزاحمة الرجل الذي استفاد من المدنية والمرأة التي مازالت تزاحم بفردية وضعف ليتطور الوطن بالرجل والمرأة معاً علاوة على تمرد المرأة على الثبات والجمود والرتابة في فضائها المادي والاجتماعي ونفورها من التحول من المدنية إلى العادة مرة أخرى "الرابعة عصراً أعود للمؤسسة لاستكمال المعاملة، كل شيء هادئ، لا وجود لتلك الحركة التي كانت في الصباح... لم أجد ذلك الذي طلب مني العودة بل هو...! بدون البدلة الأنيقة يحدثني بلسان ثقيل وفم ممتلئ، لا أميز معنى الكلمات... ورائحة خضراء تنتشر في كل مكان"().

إن النص يرغب بالفاعلية والتأثير ويرفض العادة السيئة متماهياً بشغف إلى المدنية والتأثير والعمل، فضلاً عن رفض الروتين المحلل لأن الإنجاز أمل تتطلع إليه الرؤية النسوية فكانت البداية تختزل المضمون والرؤية المسيطرة على النص.

وإذا كانت المجموعة تُصدر للمتلقي رؤية وقضايا المرأة، فإنها تحاكم المجتمع وترسم عالمها الذي يتصف بالقهر والجبر والاستغلال، فهذه أقصوصة "خرقة بيضاء" تحكي رؤية الاستغلال والجبر للمرأة الصغيرة "آخر قطعة صغيرة وضعتها أمها في حقيبة ملابسها التي جهزتها قبل موعد زفافها، قطعة قماش بيضاء، وبراءة الأطفال تسأل والدتها لماذا وضعتِ هذه القطعة في الحقيبة؟! ترد والدتها متحاشية النظر إليها، سأشرح لك قبل ذهابك لبيت زوجك وما الذي تصنعيه..!"().

مما سبق، يمكن أن يدرك المتلقي إنّ بداية القص في البناء يكتب بعناية، باعتباره المدخل ليعطي حالة من الجذب وشد الانتباه، فضلاً يختزل الرؤية التي يحتويها النص برمته، وإذا أمعن النظر في السرد السابق نكتشف:

• الحرص الشديد من الآباء والأسر على سلامة الولد عضوياً، باعتبار ذلك حتمية اجتماعية ودينية وأخلاقية، والتزاماً اجتماعياً وشرطاً من شروط الزواج، فأشار السرد إشارة "آخر قطعة وضعتها في حقيبة ملابسها"، وهذه علامة لها من الأهمية في حياة المرأة الكثير بل هي حياتها.

• الاستغلال والتسلط الاجتماعي في الزواج "وبراءة الأطفال تسأل أمها لماذا وضعت هذه القطعة"، لتشير إلى عدم الإدراك لما هي مقبلة عليه، ولم تدرك بعد متطلبات الحياة الزوجية إشارة إلى الاستغلال وعدم امتلاك القرار، فضلاً عن التأدب الديني والأخلاقي لدى المرأة عموماً، فالبنت لا تدرك ما هي مقبلة عليه والأم تتحاشى النظر إليها وتؤجل الرد مما يعكس قلة التجربة الحياتية، وهذه المقدمات تصويراً للمجتمع المحافظ الملتزم بالأخلاق، ولكنه مجتمع متسلط بمعرفة أو بغير معرفة، مما يمهد للأحداث في الأقصوصة، فكان شخصية المرأة في الرؤية هي تجسيد لصورة الضحية، وتعكس الاستغلال من المجتمع للخصوصية النسوية، فالنص يحاكم المجتمع والرجل ويحاول أن يغير من هذه الممارسات التي تحول المرأة متعة ولذة أكثر منها طرف مؤثر فاعل وليس ذبحاً "يتمم قبل ذبحها، تعتريها رعشة وتفيق لترى كل ما هو أبيض قد تحول إلى سواد قاتم والملاءة إلى دم نازف"(). وبذلك تحول العنوان إلى معادل رمزي للبراءة وعدم الإدراك وتحول الحياة إلى سواد قاتم.

ويمكن أن تخلص هذه القراءة إلى النتائج الآتية:

• كانت المقدمة في البناء بمثابة الحبكة لبناء الأقصوصة.

• استطاعت المقدمة في الأقاصيص أن تمهد لأحداث القصة وتختزل الرؤى المختلفة.

• غالباً ما يكون السرد في تلك المقدمات بضمير الغائب، باعتباره آلية تسهل الانتقال ما بين الحاضر والماضي، ويمكن القاص من توصيل رؤيته لما يرغب.

• استطاعت المقدمات في الأقاصيص أن تظهر عناصر القص المختلفة كالصراع والأحداث والزمان والمكان.

• حاولت المجموعة أن تقدم للقارئ رؤيتها لعالمها محاولة التخلص من السائد والانطلاق نحو الفاعلية والتأثير والشعور بالكينونة.

• كشفت المقدمات عن البحث عن العلاقة المتزنة بين الرجل والمرأة و ا لمجتمع و تجا و ز علا قة القلق وعدم الثقة برؤية عصرية ليتأتى الاكتمال والاستقرار.

• بعض العناوين كانت مقدمة مختزلة للمضمون ولدلالات النص كله.

• ربما إن مقدمة الأقاصيص عكست رؤية الخيبات والإخفاقات ملقياً بها السرد على المجتمع وفضائه وفكره.

• حاولت المقدمات أن تخلق من الموت والإهمال حياة ومن السكون حركة وتأثير.

• تمحورت بعضها حول ذات المرأة ولكنها حاولت أن تكشف من خلالها قضاياها كإنسان مع الطرف المكمل وليس الطرف الخصم والواقع الحاضن وليس الطارد المنفر.

• كان السرد في المضمون في الأقاصيص المقروءة محترقاً بالإحباط واليأس والاغتراب محاولاً أن يخلق عالماً من الاخضرار والخصوبة والاستقرار.

• كانت المقدمات تبدأ بالحاضر ثم تنتقل إلى الماضي أو العكس، وقد يتمازج الاثنان.

• استطاعت المقدمات أن تقدم رؤية لتطلع النص النسوي للمدينة والتمرد على ما هو سائد وعادة مزاحمة الطرف الآخر بما هو مثال.

• كان النص في المقدمة ناقم على الاستغلال للمرأة والمتاجرة ببراءة عقلية المرأة لتتحول إلى متعة ولذة أكثر من شريكة تدرك ما تريد وليس استسلام لما يراد لها.

• ترابطت البدايات والنهايات ترابطاً وثيقاً لتشكل تلاحماً قوياً يفضي إلى الثيمة والمضمون من النص القصصي.

العيد الوطني الـ23
إصلاح مسار الوحدة مهمة جوهرية لمؤتمر الحوار الوطني.